المحاضرة الثالثة:قضايا الرواية المغاربية السياسية و الاجتماعية.

أولا:القضايا السياسية في الرواية المغاربية

1-في الجزائر:

- **سياسية الحركة الوطنية:**

عالج الطاهر وطار قضايا سياسية فتناول في روايته" اللاز 1972 "مشاكل الحركة الوطنية وضرورة إيجاد الحزب القائد و الطلائعي الذي تلتف حوله كافة القوى الوطنية،وفي قصة" الشهداء يعودون هذا الأسبوع 1984 "تناول فيها الكاتب الصراع الإيديولوجي،وتعد رواية" الولي الطاهر يعود إلى يعود مقامه الزكي 1999 "من أعقد وأخصب أعماله،حيث تقوم على متخيل غريب مزيج بين الواقع والخيال،وتركيبة عجيبة لأبعاد دينية سياسية تاريخية وأسطورية جمالية وفكرية،وأعماله هي عبارة عن روايات طرحت أفكار سياسية بالدرجة الأولى،وقد أجاد الروائي الطاهر وطار في قراءة المسار السياسي للجزائر وكان له موقف إيديولوجي واضح،وجسّدت أعماله التزامه بموقفه السياسي تجاه الحركة السياسية في الجزائر

- **سياسة الثورة الزراعية:**

تناولت الرواية الجزائرية موضوع الثورة الزراعية ودعمتها،ومن أهمها رواية الزلزال 1974للطاهر وطار،حيث انتقل إلى زمن ما بعد الاستقلال،وفي بدايات السبعينات ركز على موضوع الثورة الزراعية ونجد أن رواية واسيني الأعرج ما تبقى من سيرة لخضر حمروش كُتبت عام 1980 أيد فيها مشروع السلطة مثل الطاهر وطار.

- **مضمون الثورة في الرواية:**

ظلت الثورة التحريرية تؤثر في الكتاب وممن عايشوها عثمان سعدي،الذي تضمنت مجموعاته القصصية مضامين ثورية وطنية،و نشر عبد الله الركيبي قصص قصيرة من بينها "الطاغية الأعرج والكاهنة 1954"،وتميزت قصصه بخصائص متميزة بالإضافة إلى الأحداث والوقائع التاريخية التي كانت تدور في معظمها حول المقاومة والثورة ضد الاستعمار.

- **النقد السياسي في الرواية الجزائرية:**

يعد مرزاق بقطاش صاحب موقف سياسي واضح،حيث انتقد من حاول تدنيس الثورة واستغلالها في رواياته طيور في الظهيرة 1976،وخويا دحمان 2000 ودم الغزال2002 التي صور فيها العشرية الدموية(الإرهاب) وفيها رصد ظروف الأزمة وما فيها من عنف سياسي.

- **حضور القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية:**

شكلت القضية الفلسطينية علامة فارقة في الكتابات الأدبية العربية وخصوصا المغاربية وسالت الأقلام للتعبير عن التضامن مع الشعب الفلسطيني،ونذكر على سبيل المثال:رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس الصادرة سنة 2008 لواسيني الأعرج،رواية الصدمة لياسمينة خضرا،سيرة الافعى لعز الدين جلاوجي وهي رواية مختلفة حاولت تفكيك بنية العقل اليهودي وتحطيم تلك الأسطورة حول تفوق العقل اليهودي من خلال قصة البطلة التي تنخرط في المجتمع اليهودي وتحاول تفكيكه لتظهر انه العقل جبان وتلفيقي واحتيالي.

2-في تونس:

- **قضية الصراع الإيديولوجي:**

تناولت الرواية التونسية الصراع الأيديولوجي المتعدد الأطراف و المتداخل فلسفيًا وفكريًا كما كما هو الحال مع عبد الله العروي،واهتمت بالواقع التونسي المزري مع بداية الستينات في محاولة التعليق على تلك الأوضاع الحاضرة،معبرة عن مصالح الطبقة الشعبية،وناقشت قضايا سياسية هامة وأشارت إلى ما يعانيه الفرد التونسي من صراع من أجل الحياة وواكبت حياته اليومية في الريف والمدينة والأوهام الناتجة عن النزوح والهجرة.

- **قضية الحرية:**

طالب الأدباء بالحريات الفردية وحرية التعبير والتفكير وعبر عنها الأديب عز الدين المدني في مجموعتيه القصصيتين" خرافات 1968 "و"من خرافات هذا الزمان 1982 "

وتناول علي الدوعاجي معاني الحرية في أعماله" سهرت منه الليالي 1979 "و"جولة بين حانات البحر المتوسط 1973 " وفي أدبه عمومًا جنوح إلى المسائل الوجودية العميقة،التي ترتدي ثوبًا من السخرية والتهكم في لغة مباشرة تستقي من العامية بعض عباراتها وصورها،وهنا يتبن لنا مدى التزام كتاب الرواية في تونس بقضايا مجتمعهم رغم الكبت السياسي.

- **القضية الوطنية:**

عبرت الرواية التونسية عن مضامين وطنية،وبرز الاهتمام بالقضية الوطنية في أعمال: العروسي المطوي في:"ومن الضحايا 1956 "والتوت المر 1967 ،وهي مستوحاة من أحداث الحركة الوطنية والصراع ضد الاستعمار الفرنسي،ويعد محمد الصالح الجابري في رواية" يوم من أيام زمرا 1968 "من أهم ممثلي هذا الاتجاه،والواقع أن محمد المختار جنات أخذ مسألة الوطنية مأخذ جد،فغاص في تفاصيل كثيرة في رواية صدر الجزء الأول منها بعنوان" أرجوان 1970 "والجزء الثاني 1972 بعنوان"خيوط الشك "وأضاف رواية وطنية بعنوان" نوافذ الزمن 1974 " وظهرت المعاني الوطنية في رواية عبد الرحمان عمار في" حب وثورة 1969و"عندما ينهل المطر 1975" ومحمد الصحبي الحاجي في رواية" الثائر " 1970والحبيب بن سالم في "ونّاس 1973 ".

كما نذكر رواية محمد ابن عاشور" في البحث عن الأوراق 1974 "فهي بحث عن الهوية وتحول من الشك إلى الإيمان،وغيرها من الروايات التونسية التي برزت في مناخ اجتماعي متميز، ووسط ظروف ثقافية واجتماعية ثائرة، فحاولت التعبير عن كل ذلك واحتوائه، وبذلك عبرت الرواية عن أشكال الوعي السياسي.

3-في ليبيا:

لقد ظهر البعد الإيديولوجي متحكمًا في كتابات عبد الله الغزال،وقد أحدثت روايته التابوت 2004 أثرا كبيرا،فهي عبارة عن قراءة سياسية لمرحلة تاريخية هامة تمثلت في الحرب الليبية التشادية،فهي أرخت لتاريخ هام من الصراع السياسي بين ليبيا و التشاد.

وقد عبرت رواية"الحيوانات" لصادق النيهوم عن مواقف سياسية عبر حيلة القناع حيث قسم الحيوانات إلى أدوار مختلفة،بعضها يضطلع بدور السلطة وبعضها يضطلع بدور الشعب بكل فئاته المثقفة وغير المثقفة،ولعل طرافة هذه الرواية تكمن في جرأتها أين عالجت بأسلوب ساخر السلطة الاستبدادية التي تفتقر إلى الشرعية الانتخابية والديمقراطية،وتعمد السلطة في هذه الرواية إلى ممارسة أبشع أنواع القمع للأصوات المعارضة لها،وهي لا تتردد في مصادرة حرية الرأي عبر فرض الرقابة على وسائل الإعلام،ويكاد يكون صوت المثقف غائبا فقد صادرت حقوقه ولكنها قدمته أيضا حاملا لجيناتها ولبذور الاستبداد في خطابه.

4-في المغرب:

ظهرت القضايا السياسية في كتابات عبد الله العروي،فهو كاتب إيديولوجي مشبع بالثقافة الماركسية،وتعد روايته الغربة 1971 أحد أشهر أعماله وفيها ظهر توجهه الإيديولوجي،ومما تناوله الكاتب والسياسي والروائي المغربي عبد القادر الشاوي في روايته "الساحة الشرقية 1999 "بجرأتها على تشخيص ظاهرة الاعتقال السياسي في المغرب،وتدخل هذه الرواية ضمن أدب السجون والمعتقل وكان من الأوائل الذين تناولوا هذا الموضوع منذ روايته الأولى كان وأخواتها،ففرض نفسه روائيا يصعب أن يزاحمه غيره في هذا المجال.

وبذلك تكون السياسة من أهم الأسئلة التي انبنى عليها المتن الروائي المغاربي باعتبارها هما يؤرق شواغل كتاب الرواية،وقد عبر عن ذلك الطاهر وطار"السياسة هي الصد الوحيد لهمومنا العلنية والباطنية،هم كبير مثل الحب والموت:وهدا ما يميز عددا كبيرا من الروايات الواقعية النقدية والاشتراكية وطرحها للقضايا السياسية في البلدان المغاربية.

ثانيا:القضايا الاجتماعية في الرواية المغاربية

يعرف الباحثون في علم الاجتماع المجتمع نسق اجتماعي كلي يتضمن أنساق فرعية كالنسق الأسري،النسق التربوي،النسق الطبقي،النسق الصناعي،وهذا يعني أن الأدب نسق من الأنساق التي لا يمكن الاستغناء عنها،ذلك لأنه مرآة عاكسة لما يجري في المجتمع من أحداث وممارسات يعبر عنها من خلال الشعر والنثر.

تعد علاقة الأدب بالمجتمع علاقة جدلية تفرضها مقومات النشأة والتطور داخل هذا الوسط الذي ينتمي إليه الأديب والأدب منذ نشأته هو ارتباط مباشر بالذات في اتجاه نفسها وارتباطها بالمجتمع ونستشف هذه العلاقة من خلال تعريف عالم الاجتماع ماكس فيبر الذي يقول عن علم الاجتماع"انه علم يكرس جهوده للوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي في أسبابه ومصاحباته."

ويلتقي الأدب وعلم الاجتماع في أنه أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف وهواجس الإنسان بأرقى أساليب الكتابة التي تتنوع بين الشعر والنثر،لتفتح للإنسان طرق القدرة على التعبير،إن وظيفة الأدب تكمن في فهم خصوصيات المجتمع والتجاوب معها،إذ لا يكفي أن يكون الفهم متكاملا بل ينبغي أن يكون متطورا كذلك،وهدا ما يجعل من صناعة الأدب رسالة ومن الأديب رسولا مسؤولا"لذلك فإن اجتماعية الأدب تتحدد بعلاقته العلية بالمجتمع إذ لا يكون النص وقتها إلا من خلال مجمل تعابيره سوى محصلة لعلاقة اجتماعية."

وهكذا يصبح دور العمل الأدبي دورا متميزا داخل المجتمع ووعي الأفراد به باعتباره وسيلة من وسائل بث الوعي الفكري والجمالي بالرسائل الأدبية والجمالية له،وتظل العملية الإبداعية في حقيقتها عملية تأسيسية تأخذ ماهيتها من الواقع باعتباره مرجعية أساسية ومنطلقا بديهيا،فالأدب عالم الإنسان كما يقول ياسمينة خضرا "أظن الإنسان قد خلق الأدب

في اليوم الذي أدرك فيه أن عالمه كان ضيقا جدا عليه،ففتح خفيا ليذهب نحو المتخيل والمتخيل مثل الفضاء الخارجي لا نهاية له"لذلك فإن الكاتب يعبر عن تجربته وفهمه العام للحياة،والأدب تصوير لفهم الأديب ونقل له إنه قيمة إنسانية واجتماعية.

إن الحديث عن علاقة الأدب بالمجتمع يقودنا إلى إشكالية أخرى وهي علاقة الأديب بالمجتمع ودوره وعمله،علاقة الأديب بالمجتمع ليست علاقة طبيعية وعادية كغيره من أفراد المجتمع،بل إنها علاقة توجيهية قيادية نظرا لما يملكه من صفات وإمكانيات تؤهله لتحمل المسؤولية،وقد فرضت ظروف التحولات المجتمعية ظهور نوع جديد من الالتزام المحدد بالأوضاع الاجتماعية والسياسية التي تتحول وتتغير باعتبارها صيرورة وجودية إن سلبا أو إيجابا.

والمقصود بالالتزام ذلك المفهوم المباشر الذي يستوجب انصهار الأديب في مجتمعه وانشغاله بقضاياه التي تعد جزءا من يومياته الطبيعية،وهذه النظرية أي الالتزام لا تعتبر الإنتاج الأدبي منفصلا عن السياق الاجتماعي الذي ظهر فيه لأنه موجه للاستهلاك الاجتماعي والتأثير في المتلقي وتشكيل الذوق الاجتماعي وتغيير السلوك،وهكذا كان الأدب وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي،وتمثل اللغة التي يستعملها الأديب مؤسسة اجتماعية وليست مجرد أداة للتعبير الجمالي فقط،ولا يؤدي الأدب وظيفته التعبيرية إلا حين يكون مرآة تعكس الحياة الاجتماعية بكل بمختلف أبعادها وعلاقات الصراع التي تسودها،فهذه النظرية تعتبر الأديب صاحب رسالة وموقف أيديولوجي يعبر فيه عن رؤيته الخاصة للعالم.

- **قضية الهجرة كتيمة محورية مطروحة في الرواية المغاربية:**

تعد الهجرة هي انتقال من فضاء جغرافي واجتماعي وثقافي إلى آخر هذه الحركة المدفوعة بألف ميل وألم وأمل يحلم فيها المهاجر بالأمن والرخاء والإنسانية علّه ينتشل من ظروف القلة والذلة إلى ظروف الاعتراف والقبول،ويرتبط فعل الهجرة بحرفين هما من وإلى

فالحرف الأول يحيل على الحيز الجغرافي الذي تكون منه الهجرة أو الانطلاقة بينما يشير الحرف الثاني إلى الحيز المهاجر إليه والذي يمثل نقطة الوصول إلى البلد المستضيف،وبين من وإلى يكون العبور بما يحمله من دلالات رمزية لأن الهجرة في جوهرها ليست حركة مادية فحسب إنما حركة ثقافية حيث يهاجر الفرد ومعه عاداته وتقاليده وهويته وقيمه وما نشأ عليه في الوطن الأم.

انتقلت الهجرة إلى فضاءات المتخيل وهي تسائل الواقع الثقافي والإنساني للهجرة لما للسرد من مقدرة لغوية ومجازية تمكنه من الغوص في أعماق الذوات المهاجرة ورغباتها الهوسية التي تطفح بالفقد والاغتراب والحنين والاقتلاع الاشتياق وما يطرحه من أسئلة كثيرة لقضايا متعلقة بالهوية والغيرية،ومن النماذج العربية التي أثارت موضوع الهجرة و اللقاء الحضاري بين الأنا والآخر بكل ما يحمله العالمان من تمايز وما بينهما من توتر رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح،عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم،الحي اللاتيني لسهيل إدريس كما تم التقاط نسق هذه الظاهرة على مستوى المنجز الروائي الجزائري فتحضر رواية المرفوضون لإبراهيم سعدي،ورواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك لعمارة لخوص،رواية المراسيم والجنائز لبشير مفتي،عصافير النهر الكبير لمحمد زتيلي،بوح الرجل القادم من الظلام لإبراهيم سعدي،حلم على الضفاف لحسيبة موساوي،رواية كاماراد للصديق حاج أحمد الزيواني،فكانت هذه الروايات حبلى بأشكال اللقاء مع الآخر وبلواعج الغربة ومسالكها الموجعة،وهواجس الحنين إلى الوطن المفقود من عذابات وانكسارات الذات والوجدان طرحتها بطرائق سردية متباينة.

تحضر في ذات السياق مسميات كثيرة بين أدب الهجرة وأدب المهجر وأدب المنفى وأدب الشتات و يتبنى الناقد عبد الله إبراهيم مصطلح أدب المنفى ويعتبره ظاهرة ثقافية تطفح بمعاني لإبعادوالتنحية،الطرد،الإخراج،التغريب،الذهاب،الانتفاء،الانعدام،وجميعها تؤكد على

حال والانقطاع وعدم المكنة على التواصل والعجز عنه،ويفضل الناقد رامي أبو شهاب مصطلح أدب الشتات ويحمل الشتات دلالات الافتراق والشقاق والانفصال ويرتبط الشتات بالجماعة؛إذ إن مفهومه ابستيمولوجيا يعني مجموعة كبيرة من الناس يعيشون خارج وطنهم الأصلي،نتيجة عوامل تتمثل في العبودية،الاستعمار،التهجير القسري وقد توصل الناقد إلى مجموعة من الأنساق في خطاب الشتات بعد استقصائه لمجموعة من النماذج ومن بين هذه الأنساق الخطابية في سرديات الشتات:

•الإحساس بالاقتلاع:وهو الشعور الملازم للمشتت الذي يفقد الإحساس بالتمركز في المكان والثقافة فينشأ منقطعا عما حوله وساعيا في الآن ذاته إلى محاولة ردم هذه الفجوة الوجودية.

•التذكر والحنين:فالمشتت يعاني من الوحدة والانعزال والغربة في الأرض الجديدة،بموازاة عدم القدرة على الانسجام أي ثمة مشكل على مستوى الهوية والاندماج مما يجعل الخطاب الأدبي معنيا بتمثيل هذا المستوى.

•الكتابة الثنائية والمتعددة:أو بعبارة أخرى الاحتفاء بالاختلاف حيث تتسم الكتابة بنمطين أساسين،فهناك من يركز على الوطن الأصلاني وهناك من يركز على مكان الإقامة فالأول ينقل كتابته إلى وطنه لنقده أو كي يقدمه للقراء أو لممارسة نوستولجيا كأداة للتذكر،أما الذين يركزون على الأوطان الجديدة فيهدفون إلى عكس التحولات القاسية التي يعيشونها أو لتمزيق قناع الثقافة المتعددة من خلال تصوير العنصرية أو نقدها.

بعض المراجع المعتمدة:

-الهجرة،المسكونية،المنزل المفقود،عناصر في هاجس الغرابة،مجلة يتفكرون،ملف الهجرة وسياسات الضيافة،مؤسسة مؤمنون بلا حدود،المملكة المغربية،الرباط،2017.

-رامي أبو شهاب:في الممر الأخير،سرديات الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كولونيالي،ط1،دار الفارس للنشر،عمان،2017.